الهجرة وأثرها على الرواية العراقية ما بعد 2003
رواية الصندوق الأسود للكاتبة كليزار أنور أنموذجاً

عباس فاضل حميد

طالب دكتوراه اللغة العربية وآدابها من جامعة شهيد تشمران اهواز ، اهواز ، ايران

د.خيرية عجرش

أستاذة مشاركة بجامعة شهيد تشمران اهواز، اهواز ،ايران (الكاتب المسؤول)

Echresh.kh@scu.ac.ir

د.حسن دادخواه تهرانى

أستاذ بجامعة شهيد تشمران أهواز، أهواز ، إيران

الملخص:

تناول البحث مسألة الهجرة وأثرها على الرواية العراقية ما بعد 2003 وفي بعض البلدان العربية بدءاً بتعريف الهجرة لغة و اصطلاحاً ثم عرض أسباب ودوافع الهجرة كما عرض مسائل لها علاقة بالهجرة كالعولمة و تأثيراتها و علاقة الهجرة بالهوية الوطنية للمهاجر و ذُكرت بعض التقارير الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة بشأن الهجرة للهجرة و تضمن البحث دراسة مقاومة الهجرة و توضيح معناها و أثرها على المجتمعات و بعد ذلك تمت مناقشة ظاهرة اللجوء و توضيح الفرق بينها و بين ظاهرة الهجرة وتناولت الدراسة دوافع الهجرة غير القانونية ونوقشت ظاهرة النزوح في العراق و نتائج اللجوء على المجتمع العراقي و الحكومة العراقية و لم تكن ظاهرة الهجرة القانونية وغير القانونية في العراق بعيدة عن محاور هذه الدراسة حيث وضحت الدراسة ما لهذه الظاهرة من آثار سلبية على العراق ولهذا تكلمنا عن أثر الهجرة في الرواية العراقية و تداعياتها على المواطن العراقي بشكل عام و على الكتّاب بشكل خاص و اتخذت الدراسة نموذجاً روائياً وركزنا في دراستنا أثر الهجرة في موقف و سلوك و تفكير الأدباء العراقيين و على رؤاهم الثقافية و الفكرية و الأدبية .

Immigration and its impact on the Iraqi narrative after 2003

The novel The Black Box by Klezar Anwar is an example

Abbas Fadel Hamid, Ph.D., Arabic Language and Literature, Shahid Chamran Ahvaz University, Ahvaz, Iran.

Khairiya Ajrash, associate professor at Shahid Chamran Ahvaz University, Ahvaz, Iran (responsible writer)

Echresh.kh@scu.ac.ir

Dr.. Mahmoud Abdanan, Professor at Shahid Chamran Ahvaz University, Ahvaz, Iran

Summary:

The research dealt with the issue of immigration and its impact on the Iraqi narrative after 2003 and in some Arab countries, starting with defining immigration linguistically and terminologically, then presenting the reasons and motivations for immigration. It also presented issues related to immigration, such as globalization and its effects and the relationship of immigration to the national identity of the immigrant. Some international reports issued by the United Nations were mentioned. Concerning immigration for immigration. The research included a study of resistance to immigration and clarification of its meaning and impact on societies. After that, the phenomenon of asylum was discussed and the difference between it and the phenomenon of immigration was clarified. The study addressed the motives of illegal immigration and discussed the phenomenon of displacement in Iraq and the consequences of asylum on Iraqi society and the government. The phenomenon of legal and illegal immigration in Iraq was not far from the focus of this study, as the study made clear the negative effects of this phenomenon on Iraq. That is why we talked about the impact of immigration on the Iraqi novel and its repercussions on the Iraqi citizen in general and on writers in particular. The study took In our

study, we focused on the impact of immigration on the attitude, behavior and thinking of Iraqi writers and on their cultural, intellectual and literary visions.

المقدمة:

أسباب اختيار البحث:

وقع اختياري للبحث نظراً لأهمية الهجرة وأثرها على بناء النص الأدبي عند الكاتب، كون ثقافة الكاتب تُعد الركيزة الأساسية التي يستند عليها الروائي وبداية الطريق المؤدي إلى البناء القصصي، إضافة إلى أن هذه الدراسة تستطيع أن تلقي من الضوء على الرواية، فضلاً عن قلة الدراسات النقدية التي تناولت دور الهجرة في تشكيل الصورة النصية للراوية.

أهداف البحث:

سيكون هذا البحث محاولة جادة إلى كشف أسرار وخفايا الجمال في كتابة النص الروائي عن طريق دراسة ثقافات الكتاب التي تنوعت بتنوع المجتمعات التي عايشوها بعد هجرتهم ، فالروائي عُني بالإبداع ولاقَ نصه حضوراً مميزاً على الساحة الأدبية، فضلاً عن مقدرته في الترجمة، لتكن دراستنا هذه في محتوى النص الروائي والأطر العامة التي يتنوع بها كونها أقرب إلى الواقع وبعيدة عن التنظير، وقد كتبتُ بحثي هذا ليغني الدراسات النقدية ويضيف لها شيئاً جديداً.

منهج البحث:

اعتمدت في بحثي هذا جملة من المناهج التي شاركت بعضها مع بعض في قياس فضاء الجمال في التنوع الثقافي وما يمكنه أن يضيفه إلى النص الأدبي، وركزت على مجموعة من المناهج الجمالية والتحليلي، حللت حللت من خلالها أسباب وأثر الهجرة وكذلك ماهيتها في النصوص المعتمدة في البحث بالاستناد إلى المنهج التحليلي، وأضأت مواطن الجمال فيها اعتماداً على المنهج التحليلي.

لمحة عن تاريخ الهجرة في أوربا والوطن العربي:

كانت الهجرة قديماً تحدث دون مقاييس أو تصنيفات محددة حتى أواخر القرن التاسع عشر فقد كانت موحدةً ولم يعرف الناس للهجرة مسميات كالهجرة النظامية و الهجرة الغير نظامية لأن الدول وقتذاك لم تشرع قوانين تتعلق بالهجرة إلا أنه في النصف الأول من القرن التاسع عشر لجأت بعض الدول إلى عرض إغراءات لجذب مهاجرين من دول أخرى للعمل في أراضيها مثل البرازيل عام 1850 و الأرجنتين عام 1880 كما أن الولايات المتحدة الأمريكية قامت بإصدار قوانين جديدة وخاصة تتعلق بمسألة منع الهجرة غير النظامية في أواخر القرن التاسع عشر و قد ناقشت الحكومة الأمريكة في عام 1876 في مجلس الشيوخ و الكونغرس موضوع الهجرة

الصينية التي رافقتها أعمال إجرامية وتم إصدار قانون لمنع الهجرة الصينية إلى الولايات المتحدة الأمريكية وفي عام 1882 شهدت جزيرة أيلس تدفق المهاجرين من غرب أوربا و المانيا و إيرلندا و الدول الاسكنديافية و بقية الولايات المتحدة الأمريكية أكبر دولة مستقبلة للهجرة في نهاية القرن التاسع عشر حيث وصل عدد المهاجرين إلى تسعة مليون مهاجر في بداية 1920 و عند قيام الحرب العالمية الأولى شهد العالم أكبر موجات للهجرة حيث هاجر 7,5 مليون شخص من مناطق سكنهم إلى مناطق أحرى أو خارج بلدانهم بسبب الحرب أما بعد الحرب العالمية الثانية فتم إصدار قوانيين ناظمة للهجرة بعد تدفق المهاجرين إلى القارة الأوربية جاء في كتاب .....((فتحت القارة الأوربية أبوابها لاستقبال الهجرة العاملة من كافة أنحاء العالم ولم تكن النساء بعيدة عن المشهد فقد تدفق عدد كبير من المهاجرات بعد الحرب وكانت النساء أول من وصل على بعض دول أوربا الجنوبية مثل إيطاليا و اليونان واسبانيا)).

أما الهجرة في الوطن العربي مثل العراق فقد حدثت مع بداية تسعينيات القرن الماضي بعد الحرب التي خاضها نظام البعث الحاكم بقيادة صدام حسين و تفاقمت موجات الهجرة في العراق بعد عام 2003 فقد كان العراق من الدول المؤهلة ليكون في مراتب الدول الحضارية سياسياً و اقتصادياً و اجتماعياً إلا أن الصراعات المذهبية والطائفية و الاحتلال الأمريكي للعراق كانت من الأسباب التي أدت إلى تدمير العراق وخلق جو مناسب للهجرة بشكل جماعي و بأعداد كبيرة تجاوزت مئات الآلاف وكان لهذه الهجرات الجماعية العراقية أسبابها الداخلية مثل سيطرة التنظيمات الإرهابية إشاعة القتل و التدمير والإرهاب و الفقر و التدهور الأمني ف((السلطة الاستبدادية لا تستطيع أن تحتل مجموعة امكانيات المواطنين، ولا أن تعطلها أذ تظل هناك دائماً مراكز وعي مناهضة تقاوم ماهو كاتم للأنفاس ومعاد لحرية المواطن وحقوقه))(الرواية العربية،23،2011).

أما الدوافع الخارجية فهي الحروب المتتالية كالحرب العراقية الإيرانية عام 1980 و حرب الخليج الثانية عام 1991 و الاحتلال الأمريكي عام 2003 كل هذه الأحداث ساهمت في حدوث ظاهرة الهجرة العراقية أما في سوريا ولبنان فقد حدثت موجات هجرة إلى مصر على شكل انتقال عائلات شامية و لبنانية إلى مصر في بداية 1805 إلى 1848 و عند حدوث الحرب الأهلية في لبنان عام 1860 حدثت موجات هجرة لبنانية كبير إلى مصر هرباً من جحيم الحرب و العنف وطلباً للأمن و الأمان و أما هجرة أهل الشام إلى مصر فقد كان مرحباً بها أيام حكم الخديوي إسماعيل لما امتاز به أهل الشام من اتقان للعمل وسرعة للبديهة وعمق التفكير و ممارسة الأعمال المهنية الناجحة حيث يقول المؤرخ اللبناني مسعود ضاهر : الظروف التاريخية كانت ملائمة جدا لعمل الشوام أكثر من سواهم فالكفاءة الشخصية ومعرفة اللغات و سرعة التكيف جعلت الشوام يلعبون دوراً مميزاً في مصر.

دوافع الهجرة الدولية :

للهجرة الدولية أسباب ودوافع متنوعة منها ما يتعلق بالجانب السياسي والأمني ومنها ما يتعلق بالجانب الاقتصادي والاجتماعي وأحيانا علمي فالبطالة والفقر وقلة فرص العمل تندرج تحت العوامل الاقتصادية أما الملاحقات الأمنية والقمع والظلم والنزاعات المسلحة والحروب الأهلية فتندرج تحت العوامل السياسية وقد تكون فرص التعليم وطلب الدراسة والاختصاصات العليا من الدوافع العلمية للهجرة.

الدوافع الاقتصادية للهجرة :

إن الأزمات الاقتصادية والمالية التي عصفت بالعالم مؤخراً بعد عام 2008 أدت إلى هجرات عديدة وكثيرة ولاسيما في الدول الفقيرة كما حدثت بطالة في هذه الدول إضافة إلى الكود الاقتصادي وتدهور مستوى الإنتاج وقلة الأيدي العاملة مما أدى لحدوث موجات هجرة كثيرة ففي العراق تمت هجرات غير نظامية يقول الباحث جبار علي جمال نقلاً عن مقالة صادرة عن الأمم المتحدة: (من الأسباب الاقتصادية التي تدفع إلى سلوك حركة الهجرة غير القانونية هي خضوع دول المنشأ لعقوبات دولية كالعقوبات الاقتصادية التي فرضت على العراق بقرار الأمم المتحدة يحمل الرقم (661)في عام 1990 مما أدى إلى هجرة أعداد كبيرة من العراقيين بحثاً عن فرص أفضل للعيش).

الدوافع الاجتماعية للهجرة: إن تدهور مستوى المعيشة والفقر والجهل والاضطهاد والتمييز المذهبي والديني وانتشا والإرهاب وتعرض الأقليات لسوء المعاملة من دوافع الهجرة ومغادرة البلاد بحثاً عن أماكن توفر لهم العدالة الاجتماعية والحياة الكريمة.

الدوافع السياسية : من أسباب دفع الشباب إلى الهجرة الأنظمة الديكتاتورية وسياساتها الظالمة بحق شعوبها حيث تنشر هذه الأنظمة الرعب والخوف والقلق بين أبناء البلاد التي تحكمها ومن أساليب سياسة هذه الأنظمة الملاحقات والقمع ومصادرة الحريات وانتهاك حقوق الإنسان لأبسط الأسباب كما أن النزاعات المسلحة والحروب الأهلية تدفع الناس إلى الهجرة ففي سورية ولبنان والعراق حدثت موجات هجرة كثيرة نتيجة هذه الأوضاع ولعب الإرهاب دوراً في المساهمة في دفع حركة الهجرة.

آراء بعض ا لباحثين وبعض التقارير الدولية عن الهجرة :

1 -ثمة دراسات حول موضوع الهجرة تناولت حالات لمهاجرين ومهاجرات فالباحثة (جوانا مور ينوبنيو) قدّمت دراسة عن الهجرات الموسمية التي تتعلق بالعاملات المغربيات في القطاع الزراعي في أسبانيا وبينت الباحثة تطور ظاهرة الهجرة وأسبابها وخصائصها كما قدّمت المنظمات الدولية تقارير ودراسات كثيرة عن الهجرة فانعقد المؤتمر اليومي السادس للعلوم الاجتماعية والإنسانية عام 2016و2017 في 9 يوليو مما جاء في تقرير هذا الاجتماع ((تلعب الهجرة الدولية دوراً هاماً في تخفيض أعداد الفقراء في بلدان العالم الأكثر فقراً التي يأتي منها معظم المهاجرين وتعود بالنفع خصوصاً على الفتيات المهاجرات

وعلى أسرهن وأسر غيرهن .)). (تقرير المنظمة العالمية للهجرة 2017). هذا التقرير من نتائج كتاب صادر عن البنك الدولي بعنوان ((الهجرة الدولية والتنمية الاقتصادية والسياسية)) الذي شارك في تحريره كل من كافلا وأذبن وموريس سكيف وهما خبيران اقتصاديان في بحوث التنمية الاقتصادية وقد بين هذا الكتاب آثار الهجرة الايجابية في بلداً من البلدان التي حدثت فيها الهجرة في أمريكا اللاتينية والمجر والكاريبي وباكستان وتركيا ومصر والمغرب والعراق ..

والخبير سكيف يرى أن الهجرة تساعد على تشكيل السياسات الوطنية ويمكن للبلد المصدر للهجرة الذي يدرس تنفيذ برنامج لتحسين خدمات التعليم والرعاية الصحية للأطفال والحد من الفجوة بين الجنسين في هذين المجالين وتخفيض معدلات الخصوبة وذلك بأن ينظر بعين الاعتبار إلى الهجرة نحو الغرب كأحد عناصر هذا البرنامج ومن ثم يرغب في التفاوض بشأن اتفاقيات ثنائية تخص الهجرة مع بلدان المقصد الرئيسية التي يتوجه إليها المهاجرون من مواطنهم .

ففي نيوزيلندا يلاحظ أن إحدى السياسات التي كانت تشترط توافر عمل مسبق لضمان تمتع المهاجرين بمستوى من الكفاءات أقرب في واقع الحال عن هجرة أشخاص يتمتعون بشبكات علاقات قوية تمكنهم من توفير فرص عمل لهم ...

ثم بينت الدراسات أن الهجرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتحولات اقتصادية واجتماعية وسياسية وتكنولوجية فمع تزايد تأثير العولمة صار لهذه التحولات تأثير كبير على حياة الناس وعملهم.

1 -أمّا الباحثBollj (إبليل وآخرون 2021). وآخرون عام 2015م وزملاؤه يرون في دراستهم حول التحولات والتغيرات الديمغرافية في جميع أنحاء العالم أنه في أجزاء كثيرة من العالم حلّت الهجرة محل الخصوبة والوفيات كعامل أساسي في التغير الديمغرافي فالحروب والنزاعات والكوارث من الاقتتال الطائفي من أهم دوافع الهجرة في العالم فالأمم المتحدة أظهرت في إحصاءات سكانية عن عدد المهاجرين الدوليين في عام 2022م هاجر 272 مليون مهاجر ومهاجرة وفي عام 2002 كان عدد المهاجرين والمهاجرات 1500 مليون وهذه الأرقام تدل على تزايد أعداد المهاجرين والمهاجرات وتشير بيانات الأمم المتحدة أن حركة الهجرة مستمرة وذلك من أجل توفير سبل العيش الكريم والفرار من القمع السياسي والملاحقات السلطوية فدخول النساء في الهجرة مرتبط بشروط وخصائص تتعلق بهن كالقدرة على اتخاذ القرار والوضع المادي والتصنيف الطبقي وغيرها من الخصائص المتاحة فإذا توقفت هذه الأمور لدى النساء اللواتي يرغبن بالهجرة كانت الهجرة ممكنة وفي دول الاستقبال تؤدي العلاقات بين الجنسين وكذلك الأوضاع السياسية المتنوعة إلى عدم المساواة بين الجنسين للإناث المهاجرات والوضع القانوني للمهاجرات يلعب دوراً في استقرارهن أو عدمه وهناك ارتباط بين الجنس والهجرة فالعلاقات بين الجنسين لها دور في تكوين الهجرة وتكوين انطباعات المهاجرين وقد يكون للهجرة تأثير كبير على العلاقة بين

الجنسين فالمهاجرات الإناث اللواتي يدخلن ميدان العمل في دول الاستقبال يستطعن الحصول على استقلالية اقتصادية وهذه الاستقلالية تؤثر على العلاقة بين الجنسين ثمة جانب آخر ينعكس سلباً على المهاجرات من الناحية النفسية والإجتماعية وهو قلة أجور العاملات المهاجرات مقارنةً مع الرجال ويكون لدى هؤلاء المهاجرات أماكن عمل محدودة بعكس الرجال الذين يزاولون مهناً صعبةً وخطيرةً ويحصلون على أجور أعلى من النساء. وفي الحقيقة تساهم المهاجرات في التنمية الاقتصادية في دول الاستقبال كما تساهم في زيادة الدخول في البلد الأم لدى أسرهن حين يقمن بعمليات تحويل العملة لرفد الأهل والأخوة و الأقرباء بمبالغ مالية ...

وهناك جانب مشرقٌ وإيجابي لدى النساء المهاجرات فمن خلال عملهن في دول الاستقبال يكتسبن خبرةً ودرايةً عاليةً في العمل كما يشكلن ضغوطاً كبيرةً على حكوماتهن من أجل الحصول على حقوقهن إضافةً إلى التزود بمفاهيم وآراء جديدة أكثر تطوراً وتقدماً ولا يفوتنا الإشارة إلى أن الهجرة الشرعية لها سلبيات كثيرة على البلد الأم جراء هجرة أبنائها فاستمرار الهجرة على المدى الطويل يؤدي إلى إضعاف البلد الأم وحرمانه من الكفاءات وذوي الخبرة والمهارات من أبنائه وقلة الأيدي العاملة الشابة أمّا الهجرة غير الشرعية التي يلجأ إليها بعض الناس بسبب عدم توفر الشروط المطلوبة للهجرة القانونية إلى بلد معين فقد تحدث بسبب رخص في أجور التنقل والعبور بالنسبة للمهاجر غير الشرعي فالمهاجرون يسلكونها بعيداً عن الرقابة ومراكز التفتيش عن طريق الطرق غير النظامية والرسمية فمثلاً عن طريق الجبال الوعرة والأنهار والقوارب في البحار رغم المخاطر والصعوبات الكثيرة وهذه الرحلة من الهجرات تسبب معاناة خطيرةً وآلاماً للمهاجرين وقد تؤدي في بعض الأحيان إلى الموت والوقوع في مأزق وفي مصيدة استغلال المهربين كالاستغلال المادي للرجال والاستغلال الجنسي للنساء وأحياناً يقع المهاجرين فريسة للمهربين لتجارة الأعضاء البشرية لذلك راحت الدول الأوروبية تعقد المؤتمرات للحد من الهجرة غير الشرعية فانعقد المؤتمر الدولي للسكان عام 1994م (تقرير المؤتمر الدولي للهجرة، 1994).

إلى زيادة التعاون والحوار بين البلدان المرسلة للمهاجرين والبلدان التي تستقبلهم وقد أقر المؤتمر بالإجراءات الآتية :

1 - ضمان توازن اقتصادي أفضل لين الدول المتقدمة والدول النامية ينبغي تعزيز اقتصادات الدول التي تمر بمرحلة اقتصادية .

2 - تعزيز تدفق تحويلات المهاجرين المالية واستخدامها في الحركة الاقتصادية وتنشيط وتسهيل الحركة المصرفية

3 - دعوة الدول المرسلة للمهاجرين إلى التركيز على الإجراءات القصيرة ذات الطابع الزمني الوقت.

4- تشجيع الدول على النظر في طلبات الهجرة المقدمة من الدول التي يكون وجودها مهدد بأحد المخاطر كتغيير المناخ وغيره. دعم المهاجرين من قبل الدول المرسلة والتنسيق مع المنظمات الدولية ودعا الاتفاق الدولي للهجرة الشرعية الأمنة والمنظمة (Gcm) (تقرير المؤتمر الدولي للسكان والتنمية 13-9-2023).

إلى الحد من المخاطر وأشكال الضعف التي يواجهها المهاجرون كما دعا إلى حماية ورعاية حقوق المهاجرين وتضمن هذا الاتفاق 23 هدفاً لتحسين إدارة الهجرة على كافة المستويات الوطنية الإقليمية والعالمية ومنها:

1-إن استمرار تنقل الناس عبر الحدود سمة أساسية لعالم سريع العولمة.

2- الإدارة الإنسانية والمنظمة للهجرة تعود بالفائدة على الجميع .

3- تقع المسؤولية على عاتق الدول فلكل دولة حق في وضع إطارها القانوني الذي يكفل استقرار أمنها الداخلي تجاه الهجرة بما يتفق والمبادئ والمعايير.

4- وفقاً للقانون الدولي يتعين على الدول حماية واحترام حقوق الإنسان واحترام كرامة المهاجرين بصرف النظر عن وضعهم وتوفير الاحتياجات الخاصة للأطفال والمسنين والمعوقين

5- لجميع الدول مصلحة مشتركة لتعزيز التعاون الدولي بشأن الهجرة من أجل أن تعم الفائدة

6- توفير أدوات إقليمية وعالمية تتعلق بوضع خطط تعاونية لإدارة الهجرة

هذه بعض البنود التي تم الاتفاق عليها في هذا المؤتمر

فالمهاجرون يواجهون تحديات أياً كان وضعهم القانوني أو غير القانوني , فعند بدء حياتهم الجديدة في الدول التي تستقبلهم فمن الصعب رأب الصدع في الفترة الفاصلة ما بين الحصول على رخصة إقامة والقدرة على التمتع بنوعية الحياة نفسها مثل بقية المواطنين الأصليين أو بظروف مشابهة لهم وفوق ذلك لابد أن نأخذ بعين الاعتبار أن موارد المهاجرين المالية غالباً ما تكون غير كافية وبالتالي لا تضمن وصولهم إلى الخدمات الأساسية كالحصول على الماء أو الكهرباء أو التدفئة أو حلول السكن أو الخدمات الصحية والتربوية وتأمين فرص العمل اللائقة بهم إضافة إلى التميز الذي يتعرضون له بعض الدول الأوروبية تقوم بتطبيق أنظمة الاستيعاب تدفق المهاجرين وتوفير فرص عمل لهم وبعض الخدمات كما هو الحال في بلجيكا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا إلا أن الوسائل التي توفر هذه الدول تختلف فيما بينها. وعلماء الاقتصاد درسوا آثار الهجرة على حركة الاقتصاد والعلاقة المتبادلة بين الهجرة والعمل وتأثير الهجرة على الدخل والنمو الاقتصادي أما علماء السياسة رؤوا أن الهجرة تؤثر في وضع سياسات الدول وصياغة قوانينها أما الباحث عبد الرحمن المالكي في كتابه دراسة (دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب). (أنه ينبغي على جميع العلوم الإنسانية أن تتعاون لدراسة

الهجرات) وقد أكد على ضرورة تجاوز النظرة الأحادية وتجنب التجزئة في دراسة ظاهرة الهجرة والهدف من هذه النظرة الوصول إلى دراسة عامة وشاملة.

الهجرة والهوية:

تعتبر الهوية الاجتماعية والثقافية للمهاجر اليوم من أهم المواضيع التي تشغل بال الباحثين لما لها من تداعيات اجتماعية وانعكاسات سلبية وإيجابية على تركيب المجتمع وبنيته وتغيير سياسته الاجتماعية والقانونية والاقتصادية، والأهم من ذلك كله هو المقياس الثقافي وما يحدثه من آثار و تأثير على الجانبين والذي يظهر بوضوح في هوية وثقافة الأجيال الصاعدة ببلدان الاستقبال فحين يغادر المهاجر بلده الأصلي بسبب الظروف الاقتصادية أو الدينية أو الاجتماعية لا يعني تجرده عن أصوله الثقافية وانتمائه الأصلي لوطنه الأم فهو يحرص دائماً على التمسك بثقافة بلده الأصلي ومثالٌ على ذلك المهاجرون المسلمون في أوروبا فهم حريصون على ممارسة وإحياء طقوس الأعياد في كل عام كعيد الفطر السعيد وعيد الأضحى المبارك مع مراعاة الانفتاح على الثقافة الغربية كتعلم اللغة الأجنبية واتقانها والتفاعل معها والعيش المشترك مع سكان بلد الاستقبال. هذا أمر أدى إلى تهميش اللغة الأم بالنسبة للأجيال الصاعدة مما جعل الانتماء إلى الوطن الأصلي إلى خطر والذوبان في ثقافة الآخر. إن دراسة الهوية الاجتماعية والثقافية للمهاجر أمر ليس سهلاً بسبب اتساع حجم ظاهرة الهجرة مكانياً وزمانياً، ولأنها تخضع لآليات متغيرة باستمرار وهذا التطور الذي لحق بالهوية الاجتماعية للمهاجر تحدث عنه عالم الاجتماع الجزائري عبد الملك الصياد حين وصف الهوية الاجتماعية للمهاجرين في كونها تشكل مجمل مساره منذ لحظة انطلاقه من بلده الأصلي إلى لحظة وصوله وإقامته في بلد الاستقبال ومن الصعب على المهاجر إخفاء إحدى اللحظتين الممتدتين على طول حياته ومساره، وهذا أشار إليه في كتابه(الغياب المزدوج)هذا العنوان الذي يشير إلى أن المهاجر يظل دائم التفكير في العودة إلى بلده الأصلي وخصوصاً المنتمي إلى الجيل الأول ويبقى في حالة صراع مع ثقافة بلد الإقامة لحين تحقق عودته وبالمقابل هناك من اتخذ القرار بالبقاء والاستقرار لأسباب عدة منها الزواج في بلد الإقامة و تسعى البلدان المستقبلة للمهاجرين إلى إشراكهم في الحياة الثقافية والاجتماعية وتفاعلهم الإيجابي في تركيب المجتمع الجديد من خلال وضع قوانين وبرامج وميزانية مخصصة لهم من أجل تأهيل الكوادر الفاعلة في تحقيق الاندماج في المجتمع. فالهوية الاجتماعية للمهاجر تفرض تعددية ثقافية وقد حاولت بلدان الاستقبال جاهدةً القيام بالاحتواء الشامل لمجتمع متعدد متنوع لكن التزايد السكاني من الناحية الديموغرافية للمهاجرين ودون إدماجهم كما يتطلب الأمر بإعطاء أولوية للبعد الثقافي للهجرة وخصوصاً ضعف الإنسجام من الناحية الدينية والثقافية مما أدى إلى تدهور التماسك الاجتماعي وتدهور صلة الوصل للهويات القومية فظهرت إشكالية جديدة هي العنصرية والتوظيف السياسي في أغلب الدول الأوروبية كما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية في عهد الرئيس الأمريكي ترامب حين جعل المعاداة للمهاجرين من أهم عناصر سياسته سواء كان هؤلاء المهاجرون عرباً مسلمين أم قادمين من أمريكا الشمالية وخصوصاً المكسيك ولذلك يجب الانتباه حين الحديث عن الهوية الاجتماعية إلى جانبين

أساسيين هما: الأصلي والمستقبل وما يتعلق بالجانب الثقافي لكل منهما والذي يلعب دوراً بتشكيل الهويات الاجتماعية ومنظومة القيم للمهاجرين. فالمهاجرون لا يستطيعون الحصول على الخدمات الأساسية كما يحصل عليها السكان الأصليون للبلد المستقبل فمثلاً في فرنسا لايميل المدراء إلى اختيار المغاربة والأفارقة من جنوب الصحراء لشغل وظائف ذات الأجر المرتفع كما أن فرصة حصول المهاجرين على العمل تكون قليلة ومع نشاط ظاهرة العولمة صارت التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتكنولوجية ترسم معالم حياتنا في أماكن عملنا في بيوتنا ففي الأعوام القليلة الماضية سجلت أحداثٌ كثيرة في مجال الهجرة حيث صدر عام 2007م (التقرير الدولي للهجرة في العالم –يناير –2007).

وشهد العالم تغيراً تاريخياً على الصعيد العالمي حيث اجتمعت الدول الأعضاء في الأمم المتحدة لوضع الصيغة النهائية لا اتفاقيين عالميين بشأن المظاهر الدولية للهجرة والتشرد وهما الاتفاق العالمي من أجل الهجرة الأمة والمنظمة والنظامية والاتفاق العالمي بشأن اللاجئين وتم إنجاز هذين الاتفاقيين مجهود الدول المجتمعة ومنظمات المجتمع المدني ... كما اهتمت الدول المشاركة بالاتفاق بتأثير البيئة وتغير المناخ في التنقل والهجرة فلاحظت بعض الأمور ومنها العالم يشهد اتساعاً كبيراً في نطاق الهجرة الدولية فقدرت الجهات المهتمة بالهجرة بأن أعداد المهاجرين وصلت إلى 272 مليون مهاجر ومهاجرة ثلثاهم مهاجرون من أجل العمل إلا أن المهاجرين أسهموا سهاماً اجتماعياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً كبيراً في بلدان ومجتمعات الأصل والمقصد باعتبارهم عوامل تغيير هامة في مجموعة من القطاعات ففي الولايات المتحدة الأمريكية يُعتبر المهاجرين أكثر أنشطة من السكان الأصليين في مجال الابتكار وغيره .. وإنّ مسألة إدماج المهاجرين في المجتمعات المستقبلة ذات أهمية بالغة فتسعى هذه الدول لتطبيق سياسة إدماج ابتداءً من اللغة والتعليم والعمل والمشاركة السياسية ....

5 ثمّة مقتطف من تقرير الهجرة في العالم لـ عام2003م (تقرير الهجرة في العالم عام2003).

جاء فيه : ((الهجرة موضوع سياسي بامتياز فخلال العقد الماضي تجلّى تسييس الهجرة ضمن مجموعة من التطورات كالخوف في البلدان الغربية من تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين من بلدان الإتحاد السوفيتي سابقاً والخوف في بلدان الإتحاد الأوروبي من اجتياح مواطني البلدان الأعضاء الجديدة , كلما توسع الاتحاد والتساؤل عن المهاجرين في الاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية الناجمة عن الأزمة المالية جنوب شرق أسيا والسياسات المناهضة للهجرة في أعقاب الهجمات الارهابية في 11 سبتمبر عام 2011 وتجدد كره السياسيين للمهاجرين ..)) قضايا الهجرة استخدمت لأهداف سياسية ولاسيما في الحملات الانتخابية وهذه الأمثلة تدل بوضوح على أن الهجرة ذات صلة بينها وبين القضايا السياسية والاجتماعية من جهة ومن جهة أخرى أصبحت أكثر من أي وقت مضى هدفاً جاهزاً لكل ما ينطوي من دلالات نفسية واقتصادية ودلالات مرتبطة بالجوانب الأخرى.

آثار الهجرة:

لقد لقيت آثار الهجرة متابعة مستمرة من كافة الاختصاصات والباحثين فعلماء السكان ركزوا على الآثار والمشكلات السكانية المصاحبة لعملية الهجرة والتغيير الديمغرافي كتغيير التركيب السكاني العام وتغيير في الخارطة السكانية للمجتمع العالمي أو القومي أو المحلي وعلماء الاقتصاد درسوا آثار الهجرة على حركة الاقتصاد والعلاقة المتبادلة بين الهجرة والعمل والنمو الاقتصادي وعلماء السياسة رؤوا أن الهجرة تؤثر في وضع السياسات وصياغة القوانين وعلماء النفس درسوا تأثير الهجرة على صحة الإنسان النفسية وما تتركه الهجرة من تبعات انفعالية ومرضية ترتبط بالحالة النفسية...

الآثار النفسية للهجرة :

أظهرت الدراسات بأن الهجرة سواء أكانت طوعية أم قسرية , فردية أم جماعية فإن لها آثارها النفسية على المهاجر , فأولى الدراسات كانت عام 1912 أكدت هذه الدراسات أن المهاجر يصاب بإضطراباتٍ عقلية فثمة متخصصون في مجال الصحة النفسية للمهاجرين أكدوا أن المهاجر عرضة أكثر من غيره للإصابة بأمراض نفسية ومن هؤلاء المتخصصين بيري وكيم في عام 1993 وتوسونيان , وأكدت بعض الدراسات أن المهاجر لديه استعدادات فطرية وأحياناً تكون الظروف. وتختلف هذه الآثار والإضطرابات من حيث شدتها ونوعها بين مهاجر وآخر وذلك تبعاً لعوامل عدة أهمها البنية الفردية والحالة الاجتماعية والعمرية ودرجة الثقافة فالصدمة التي يتلقاها المهاجر تكون في مغادرته لبلده وأسرته وأصدقائه ثم تزداد هذه الصدمة حين يجسد نفسه في جوٍ جديد من العادات والتقاليد وأساليب الحياة فحين يبدأ المهاجر حياته في بلد المهجر سيتغير عليه كل شيء – حركة الناس ومواقفهم وتعاملهم ثم يتفاجأ المهاجر في المعاملات الرسمية فحين يطلب اللجوء الإنساني أو السياسي يفاجأ بصعوبة الأوراق الرسمية وطول مدة الموافقة على اللجوء أو الحصول على الجنسية ... إضافةً إلى المعاناة من وطأة الذكريات التي يحملها عن الأهل والأصدقاء والأحباب فتشكل لديه شعوراً بالحنين والشوق لهم لاينطفىء كما أن المهاجر يشعر دائماً بأنه غريب على أرض المهجر ولو بقي فيها أعواماً هذا الشعور بالاغتراب قد يسبب له الإحباط والقلق وفقدان الثقة بالنفس.

الآثار الاجتماعية للهجرة:

للهجرة آثار اجتماعية متعددة على الفرد والمجتمع فالمهاجر يواجه في بلد المجر مجتمعاً جديدا من كل الجوانب من الجانب الثقافي المتجسد بالأفكار والعادات والقيم وطرق التعامل والسلوك والمواقف هذا من ناحية الفرد أما من ناحية المجتمع الذي غادره المهاجر فق يترك فراغاً اجتماعيا حيث الزوجة والأولاد والأهل مما يؤدي إلى التفكك الاجتماعي وضعف الروابط الاجتماعية وتدمير الانتماء والاستقرار الاجتماعي المتجسد في

الأسرة والعائلة والمهاجر قد يشعر بالانعزال والوحدة في المغترب وقد يجد صعوبة في الاندماج في المجتمع الجديد أما الدول المستقبلة للمهاجرين فقد تعتبر المهاجرين ولاسيما الشباب من مكاسب الهجرة لها لأنها تعمل على دمجهم في مجتمعاتها بدءاً باللغة ثم بالثقافة والفكر وقد يكون هذا الاندماج مؤثرا على الأفراد المهاجرين حيث يتعرضون لضياع وتشتت ثقافتهم أمام ثقافة المجتمع الجديد وخسارة قيمهم وعاداتهم التي اكتسبوها من بلدهم .

آثار الهجرة على الأدباء والمثقفين:

تؤثر الهجرة في الأدب والثقافة لأن الأدب يرافق كل التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فالأدب ابن واقعه يتأثر ويؤثر به فمنذ أواخر القرن التاسع عشر راحت مجموعات من الأدباء تقصد المهاجر ولاسيما من سورية ولبنان وكان سبب الهجرة الفرار من جور العثمانيين وظلمهم وطلباً للرزق والعمل وكان من بين هؤلاء المهاجرين أدباء كبار وشباب في مقتبل العمر يطمحون إلى الحرية والحياة الكريمة فراح هؤلاء الشباب الأدباء يؤسسون مدارس أدبية في الأمريكيتين الشمالية والجنوبية ففي أمريكا الشمالية أسس هؤلاء الأدباء مدرسة (العصبة الأندلسية) كجبران خليل جبران وفوزي المعلوف أما في أمريكا الجنوبية فقد أسس هؤلاء المهاجرون (الرابطة القلمية) وكان بينهم رشيد سليم الخوري وجورج صيدح فالمهجر كان له دور كبير في تهيئة الظروف لتحرك الأدباء من أجل خلق جو من الألفة والتضامن والمحبة بينهم وهذا الجو كان له شديد الأثر في التعبير عن الحنين والشوق للوطن الأم .

رواية الصندوق الأسود للكاتبة كليزار أنور2022 أنموذجاً:

الرواية الناجحة تتجه نحو التعبير الجديد عن تطلعات الإنسان عبر أفق واسع وعميق متجاوبة مع المتغيرات الكونية ذات الطابع العالمي والشمولي والمتداخل. ((فالرواية هي الشكل الأدبي الأكثر دلالة على المجتمع الرجوازي))(الاجناس الادبية في ضوء،15،2010).

كذلك ماقاله د. جال شلحد في نصه ((انَّ أحد أسباب عدم قيام فاشية في فرنسا وأنكلترا مع أنَّها قامت في أيطاليا والمانيا هو أن المجتمعات البورجوازية الفرنسية والأنجليزية تكونت ضمن عمل ثوري، فيما تكونت المجتمعات البورجوازية الألمانية والأيطالية من فوق...))(البنيوية التكوينية 223،2019)

فتوفر الرؤيا الفكرية لدى كتّاب الرواية هي الخطوة الأولى بالإتجاه الصحيح , وهذه الخطوة تقود الكاتب والقارئ إلى مرحلة الحداثة التي تقتضي التغير, فالحداثة تتطلب من الأدباء أن تجعل مرجعياتها من ذاتها ومن وعيها الجدلي بالتراث والإنهيارات وتحاول إعادة صياغة العالم عبر إدراكه من جديد , فالقطيعة مع الراهن والمتداول التقليدي والجامد هو موقف واعٍ من صلب الحداثة كما أن رفض القيم السائدة البالية والتاريخ الرسمي هو انقلاب وتمرّد على كلّ ما هو قديم جامد يقف عائقاً أمام حركة التغيير وأمام بناء القيم الكبرى ...

فالحداثة هي رؤيا وهي بديلٌ لكل ما هو قديم متكلس في المجتمع ومن هذا المفهوم للحداثة والأشكال والمضامين الجديدة في الرواية العربية عامةً والرواية العراقية خاصةً نجد أن الكاتبة كليزار أنور , قدمت في روايتها ((الصندوق الأسود)) رؤيا عميقة وجديدة لإنتاج قيم مبنية على الأصالة وحركة التقدم والتحضر ((الروائي يستطيع أن يلتقط بالمعاينة والتأمل والحدس، ظاهرات لها صفة الشمولية التي تجعل منها معرفة تضيء السلوك البشري))(بنية النص الروائي،27،2010).

فموضوع الرواية يدور حور حلم المرأة بالحب والأمومة وهذا النموذج من النساء ليس كأي نموذج يُعرض , إنه نموذج المرأة المثقفة الأدبية فجميع الأصوات النسائية التي وردت في الرواية متشابهة متجانسة ولديها قواسم مشتركة في الحياة كحب الأمومة والمطالعة وحب التواصل الإجتماعي والإطلاع على شبكة الإنترنت والعادات المتقاربة والآمال والأهداف. و((القارئ يسهم بدوره في تكملة النص شأنه في ذلك شأن المؤلف))(الرواية العربية ورهان التجدد، 2011، 70)

<u>عنوان الرواية ودلالته المجازية :</u> الصندوق الأسود هذا الاسم يستخدم عادة في تقنيات صنع الطائرة , وتُزوّدُ الطائرة به , وله وظائف كثيرة ومتعددة داخل الطائرة كحفظ أسرارها ومعرفة كل شيء ومايجري داخل الطائرة ,... إلا أن الكاتبة أرادت من هذا المصطلح أبعاداً رمزية ومجازية من استخدام هذا العنوان المؤلف من كلمتين الصندوق وهذا الموصوف والأسود الصفة يوحي بأن الصندوق فيه أسرار كثيرة ومتنوعة وبما قصدت به العراق البلد الذي ابتلي بالمصائب الكثيرة والأسود : وهي الصفة : أي أن العراق لكثرة مصائبه ومآسيه صار لونه أسود والراوية كليزار أنور تقدّم صورة شاملة للعراق بعد 2003 وما حدث من مآسي وتشبه الحرب باللعبة كالحب في عيون نساء الرواية التي تروي ما حدث إبان هذه الفترات فتوضح الكاتبة موقفها إزاء النظام السابق وتحمل الشعب العراقي مسؤولية ما حدث , فهذا الشعب هو من صفق للطاغية ورحّب به وهو من هلّل ورحبّ بسقوطه وسقوط تمثاله في ساحة الفردوس عام 2003 في التاسع من نيسان .

هذه الرواية , تتضمن موقفاً مديناً للرجال والعالم الذكورة , فأحداث الرواية تدل على ذلك , فشخصية (ماهر) الذي ادعى الحبّ خان وغدر بـ (تيجان) وريّان تزوج زواجاً تقليدياً بلا حب وكأنه غير مبال لا يهمه سوى الجسد هذا توجه سياقي لإدانة الرجال وتصوير الجوانب السلبية لديهم إلى جانب ذلك صورت الكاتبة معاناة

النساء العراقيات وما يكابدن من ظلم ومرارة وآلام الكاتبة أرادت من العنوان أن تقول بأن مصائب ومآسٍ كثيرة في العراق عامة وفي نفوس النساء خاصةً وهذه المصائب لها نتائج وتبعات سوداوية على العراق وأهله.

تجليات الحب والقهر في الرواية :

بدت لنا لغة الحب في الرواية عبر لغة القهر أكثر من لغة الفرح فقد تعرضت بطلات الرواية لإحباطات متنوعة ومتعددة فالبطلة ((تيجان)) تصاب بخيبة الحب وخذلانه فقط ارتبطت بشاب يدعي (ماهر) وأسست علاقة عشق معه ووعدها بالزواج وكان هذا الشباب يمثل عليها دور العاشق المحبّ وفي نهاية الأمر يسافر إلى بلد آخر وهناك يُرسل لها قرص (CD) معترفاً بأنه كان يؤدي دور الممثل للعاشق , فتصاب البطلة بخيبة أمل وصدمة نفسية بسبب نذالته وقلة أخلاقه حيث تقول تيجان ((ألا تبت الصفقة وخاب السعي وباءت الآمال و ولدت عقدة الكراهية و هكذا وجدت الصندوق الأسود يطفو فوق الأمواج ليصل إلي مكتوباً بلغة مشحونة بالعاطفة)). (الصندوق الأسود،155).

ومن المشاهد التي تعبر عن معاناة المرأة , مشهد عدم الإنجاب والبحث والسعي للمعالجة والمعاناة التي تتعرض لها هؤلاء النساء كالسفر من بلدٍ إلى آخر والتعرض لعمليات جراحية ومخاطرها فالكاتبة كليزار تعرض في روايتها مشهداً لمجموعة نساء في مشفى من مشافي العاصمة السورية دمشق وهن في غرفةٍ ينتظرن العلاج فتروي كل واحدةٍ منهن معاناتها وقصة حياتها.

((.. تزوجت مرة ورزقت بطفلة وطُلقت وتزوجت للمرة الثانية لكنها لم تنجب منه رغم زواجها قبل سبع سنوات ... زوجها يريد طفلاً وشرطه أن يكون ولداً وليس بنتاً)) (الصندوق الأسود، 18).

من خلال هذه المشاهد التي تحمل الكثير من القهر والظلم للمرأة نلاحظ علاقة غير متكافئة وغير عادلة بين الرجل والمرأة , فالرجل هو المهيمن وهو الآمر والناهي ولو كان على خطأ تحكمه عادات وتقاليد اجتماعية بالية ونزعة ذكورية متسلطة , أما الصورة الثانية للقهر الذي تتعرض له المرأة في رواية ((الصندوق الأسود)) فهي الحرب على العراق التي بدأت 17\3\2003 وتبعاتها , فقد نال المرأة نصيب كبير من ويلات هذه وتبعاتها، فهموم بطلة الرواية الفردية تمتزج بهموم الوطن والمجتمع في رؤية سياسية واجتماعية عميقة للكاتبة كما أن الكاتبة أشارت إلى الفساد المنتشر في العراق وسورية وعلى الحدود حيث تطلب الرشاوي من المسافرين من كل الجنسيات حيث تقول البطلة : ((... دهليز يقودنا إلى آخر .. لتتعشب الدهاليز إلى متاهة لاتعرف كيفية الخلاص منها .. الحرب لوحة قاتمة كئيبة مرسومة بالفحم الرمادي)) (الصندوق الأسود81،).

فالكاتبة ترى أن الحرب أدخلت العراق في دهاليز المصائب والنكبات والمأسي وتفرعت هذه الدهاليز إلى دهاليز متعددة أوصلت الشعب العراقي إلى مستنقع الفقر والقهر والتردي الإجتماعي والإقتصادي والسياسي ..

سردية الوصف والاعتراف :

((يقتضي السرد وجود تمثيلات للأفعال والأحداث ،أما الوصف فهو تمثيلات للأشياء والشخصيات الناتجة عن فعل الوصف ،وللوصف وظيفتان أولاهما تزينية والثانية توضيحية ورمزية في الوقت ذاته وظيفتها تبرير نفسيات الشخصيات من خلال وصفها.)) (تحليل السرد الأدبي، 155،2017)

الوصف في السرد الروائي مرتبط بمهارة الكاتب , وقدرته على تصوير المشاهد الدارمية والواقعية وغيرها له تأثير في نقل الفكرة ومعالجتها , فلا يمكن التفريق بين قوة الفكرة وأسلوب التعبير.. مما قدمته الكاتبة في وصفها البعض مشاهد الرواية وتلازم الفكرة القوية والوصف الجميل قولها :((. ست عشرة امرأة توزعن بين غرف المشفى الأنيق .. في صالتنا ثمانية أسرّة .. على كل سرير تقطن حكاية امرأة كل حلمها أن تكون أماً ذات يوم)) (الصندوق الأسود،20).

وتلجأ الكاتبة إلى وصف تجمع فيه الحالة النفسية والطبيعية بنسيج سردي جميل فتقول : ((صباحاً أمطرت .. بدأ رذاذاً متقطعاً ثم انهمر وابلاً وبوشوشةً ملأت زوايا المكان والقلوب استبشرت خيراً فالمطر خير .....)). (الصندوق الأسود،141).

أما سردية الإعتراف فكانت تحمل بعداً اجتماعياً ونفسياً فتقول على لسان الساردة الأولى : ((في البداية جذبتني الأسطر الأولى .....يبدو بأنها حكاية وما أكثر الحكايات التي ترسل إلينا لم أتبين من هذا ا.لأميل من رجل أوإمرأة)). (الصندوق الأسود،32).

وفي موقع أخر تقول معترفةً : ((لقد وضعتني هذه الرواية أمام مسؤولية كبيرة أشعر بها كهم ثقيل يجثم على صدري همّ يفوق محنتي التي وضعني القدر في دوامتها ....)). (الصندوق الأسود، 156).

فاستخدام الكاتبة لميزة سردية الوصف والإعتراف يدلّ على لغة بيانيه عالية في الكشف عن الجانب النفسي للشخصيات ويضع القارئ أمام أعماق وجوهر الشخصيات المتجاورة.

المشهد الثقافي والرؤية : هذا المشهد كان حاضراً بقوة في ثنايا السرد الروائي وهو يمثل في أغلب الأحيان وجهة نظر الكاتبة من القضايا التي ظهرت على نحو أساسي ومركزي , فالكاتبة من خلال حواراتها الداخلية والخارجية تُظهر علاقتها بالمشهد الثقافي العام من صحفٍ ومجلات ومواقع الكترونية وكتابات أدبية وغيرها وتظهر في أي عمل أدبي مرتبط بالبيئة المحيطة به ولايمكن أن يتخلى عن القضايا الإنسانية المعاصرة له كما يقول الكاتب والناقد حميد الحمداوي (البنيوية التكوينية بين النظرية و التطبيق :28). (النص الروائي مرتهن حتما بالنية الفكرية للجماعة).

مما يحقق تقارباً نوعياً وانسجاماً سردياً بين القصتين الإطارية والمضمنة أن الكاتبة جعلت الرجل في موقع المحكي عنه والمرأة هي التي تصدر أحكامها وتقويماتها الفكرية والثقافية , فتجعل منه شخصاً يشبهها ويماثلها في المستوى الثقافي والأدبي فتقول البطلة : تيجان ((كنت أعرفه ويعرفني لكننا لم نلتقِ سوى على صفحات الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية , قصتي تجاور قصته أو مقالي بجانب مقاله ...)). (الصندوق الأسود،15).

من هذا المقتطف الوارد في الرواية الآنفة الذكر نرى أن البطلة تيجان لها نشاطات أدبية وثقافية وتحمل رسالةً في الحياة وتتحمل مسؤولية اجتماعية وإنسانية وتسعى إلى إثبات وجودها ودورها في المشاركة بالتغيير والتطوير.

صوت المرأة : المرأة في هذه الرواية هي تكتب وتقرأ وتحب وتكره وهي تتمنى وتحلم , فالمرأة أزاحت الرجل من موقعه في هذه الرواية , فالقرار لها رغم آلامها ومعاناتها , وخذلانها , طبعاً المرأة المثقفة المتسلحة بوعيها وثقافتها, فالكاتبة ترى أن التشابه في ظروف وأوضاع النساء ومكان الأحداث وهو العراق يجعلها تقرأ بأنهن من الحقيقة ... ولكن في واقع الأمر هنَ من إنتاج مخيلتها وثقافتها حيث تقول الكاتبة الروائية : ((زوجي كرجلٍ يعرف ما الذي يخشاه الرجال – الاتهام بالعقم وهذا الاتهام كأنه يقتلع الرجولة فيهم ليحولهم إلى مجرد هشاشة ...)). (الصندوق الأسود،20).

وتبدي الكاتبة رأيها في المقاومة العراقية أثناء الاحتلال الأمريكي للعراق قبل سقوط صدام حسين فتقول : ((يبدو أن الحرب ستطول وليس كما توقعوا لها ,مجرد أيام وكأنهم أتوا إلى نزهة المقاومة شديدة من جانب العراق ول...)). (الصندوق الأسود،75). فالمرأة العراقية لاتعيش على هامش الحياة بل لها مواقفها السياسية والوطنية والإجتماعية. (د. ماجدة حمود، مجلة المعرفة،2017، ع648).

حلم الأمومة وعمق المشاعر :

في هذه الرواية استطاعت الكاتبة أن تسلط الضوء على موضوع الأمومة كهم كبير لدى النساء اللواتي لم ينجبن لأسباب صحية وغير صحية .. فالأمومة لدى شخصيات الرواية التي قدمتها الكاتبة كانت تحلم بالأمومة ويأخذ الحديث عنها لدى هذه الشخصيات ساحةً كبيرة , ويكشف الهواجس الداخلية للمرأة المحرومة منها , فراحت تسعى إلى علاج نفسها. عن الحلم : تقول ((كان مساومة قاسية لابد أن أرضح لها في سبيل هدف ومشروع لأي امرأة تحلم أن تكون أماً)). (الصندوق الأسود،19)

من أبرز المسائل التي عرضتها الكاتبة في بداية روايتها مسألة الأمومة التي كانت تحلم بها فقد قدّمتها في عتبة الإهداء حين قالت :

((إلى ابني الذي لم يأتِ !)). (الصندوق الأسود،11). ثم تتابع في الفصل الأول من روايتها عرض مشكلة العقم لدى مجموعة من النساء وخضوعهن لعمليات التخصيب في الأنابيب فتصور الكاتبة هذه النسوة ولهفتهن وأملهن بالحصول على الأجنة وتحقيق حلمهن بالأمومة.

تقول الساردة : ((اخترنا من المشافي أفضلها وأضمنها نجاحاً مشفى متخصص في دمشق طلبت من زوجي أن نتناصف التكاليف كما فعلنا حين اشترينا البيت والسيارة لكنه رفض بشدة)). (الصندوق الأسود،19).

ففكرة الأمومة والسعي للحصول عليها يرافقها الأمل والتفاؤل بالإنجاب وهذا يشير إلى أن المرأة مهما تعرضت للمشكلات والعوائق والأزمات فإنها لا تستسلم يبقى في داخلها الأمل يدفعها للتطلع إلى المستقبل.

تقول البطلة تيجان ((سيكون لي ابن , تكورات لذيذة في الجسد هل سأحمل قلباً صغيراً ينبض بداخلي \ سيتشكل بداخلي مثلما الجنين يتكون)). (الصندوق الأسود،148).

فراح المتلقي (القارئ) يعايش البوح والاعتراف بكل حميميتها وعفويتها التي توحي لنا باندماج مشاعر البطلة المؤلفة , فتنطق بلغة القلب التي تذهب سريعاً إلى قلب المتلقي ...

تقول البطلة تيجان : ((تأملت ما حولي بشيء من الخوف أو ربما الذعر فهذه المرة الأولى في حياتي التي أمدد على طاولة العمليات)). (الصندوق الأسود،30)

وهذا التوافق كان له ميزة الألفة التي أنقذت الرواية من جوا الرتابة الإيقاعية بفضل حرارتها وصدقها خاصةً حين تتنوع وتتداخل فيها لغة الأعماق بما فيها من أحاسيس وذكريات وأحلام ... ولغة الواقع المعيش وقالت البطلة تيجان ((طوال الطريق يراودني هاجس....أريد أن أنجب بطريقة مختلفة متطورة)). (الصندوق الأسود، 19).

المرأة العراقية والاغتراب :

لقد صورت الكاتبة كليزار المرأة العراقية بواقعية تتصف بالصدق والعفوية فالظروف التي عاشتها المرأة العراقية كانت مأساوية حيث الفقر والجهل والظلم من السلطة السياسية الحاكمة ومن الرجل الذي يحمل القيم والعادات القديمة البالية مما جعل هذه المرأة تعاني من غربة وهي في وسط المجتمع العراقي يقول الكاتب فؤاد مرعي .(نظرية الأدب –د. فؤاد مرعي – جامعة حلب سورية2018،ص19).

(إن محتوى العمل الأدبي هو دائما وحدة عضوية بين ما يصوره الكاتب وما يعبر عنه فالعالم الخارجي الذي يؤثر فيه عالما آخر وهذا العالم المثار في وعينا ليس مجرد ألوان وصور وأصوات وغير ذلك مما جاءنا من العالم الخارجي بل تتحد به أيضا مفاهيمنا عن الخير والشر)هذا هو العالم الخارجي بالنسبة للمرأة العراقية

والكاتبة واحدة من هؤلاء النساء اللواتي عانين من قسوة هذا العالم فراحت الكاتبة تعبر عن وفق النسق الثقافي والفكري الذي تحمله في وصفها للنساء العراقيات المضطهدات والمظلومات واعتبرت الكاتبة أن المرأة العراقية تعيش الاغتراب بكل ملاحمه وآلامه وربما هذا الاغتراب أشد وطأة من الاغتراب الخاجي تقول بطلة الرواية في وصف معاناة النساء العراقيات (فهاهي إسراء امرأة متزوجة منذ تسع سنوات ترتدي العباءة المحلية ولم تخلعها رغم أننا كلنا نساء من حولها ... جاءت من مدينة الكوت وسط العراق بصحبة زوجها الذي هددها إن لم تحمل بعد هذه العملية فسيتزوج عليها بامرأة أخرى ... تعيش مع أهل زوجها تسع سنين من القهر والذل والمهانة).

الجمع بين الحداثة والعصرنة في الرواية في زمن الاغتراب:

الحداثة في الرواية تجلت في مواقف وآلية تفكير الشخصيات التي تحرك العمل الروائي , فشخصيات الرواية ومعظمهن نساء , البطلة والنساء العقيمات اللواتي اجتمعن للعلاج في المشفى في العاصمة السورية فبطلة الرواية تيجان تبوح بجرأة عن مواقفها السياسية والإجتماعية والنفسية وتخرج عن صمتها. فالحداثة ليست شكلاً أو مظهراً في مظاهر الحياة بقدر ما هي موقف متطور وحضاري كما أنها طريقة تفكير جديدة تنقل صاحبها من القديم المهترئ المتخلف إلى موقع متطور في أنماط التفكير والسلوك والطبائع , فها هي الكاتبة وتعبر عن حداثتها من خلال شخصية البطلة تيجان قائلة : ((تزوجت بشكل عقلاني جداً وبطريقة راقية ومتطورة بآخر ما توصل إليه العلم والعالم تحول إلى قرية صغيرة كما يقولون ... كان ارتباطي عن طريق الانترنت رغم عدم إيماني به كقاعدة تؤسس منها أسرة ناجحة)). (الصندوق الأسود،21).

أمّا بالنسبة لما هو عصري في الرواية فقد تجلى باستخدام الكاتبة على لسان البطلة (تيجان) الانترنت كأداة تكنولوجية جديدة من مخترعات العصر وتعاملت مع هذه الأداة من منطلق الحداثة فالمخترعات العصرية تتطلب تفكيراً جديداً وحديثاً , فالبطلة أراد أن تتزوج بطريقة عصرية جديدة خارجة عن المألوف والمعتاد فالسمة العصرية تبدأ من العنوان وهو ((الصندوق الأسود)) الذي يستخدم في الطيران , كما أن عملية التخصيب الصناعي من مظاهر العصر الطبية وتعترف الكاتبة بأنها تعرفت إلى الزوج المنتظر عن طريق صفحات الصحف والمجلات والمواقع الالكترونية)) فتقول البطلة : ((لقد تزوجت بطريقة متطورة .....)). (الصندوق الأسود،22). فإدخال بعض مكتشفات اختراعات العصر في عالم الرواية لم يكن وليد المصادفة بل كان مقصوداً من الكاتبة التي تعيش في هذا العصر تتعامل مع مظاهر التكنولوجية وتستخدم مخترعاته بطريقة جديدة وبتفكير جديد.

تقنية الحوار مرآة لأنساق ثقافية: ((أن الذي لا يعرف كيف يتوجه إلى قارئ مستقبلي هو إنسان تعيس وبائي))(آليات الكتابة السردية، 2009، 123) على الرغم من الرواية لم تتحذ من الهجرة موضوعاً رئيسياً لها إلا أن الكاتبة أشارت إلى الهجرة إشارات عبارة تحمل دلالات اجتماعية وسياسية وفنية تتعلق بالعمل الأدبي فذكرت الكاتبة بعض الشخصيات التي تتخذ من المهجر مكاناً لإقامتها كمدينة دبي ودمشق وعبرت هذه الشخصيات عن الأحداث والمواقف التي عاشتها وذلك من خلال الحوارات المتنوعة التي تناسب كل شخصية، فشكل الحوار

بنوعية الخارجي والداخلي عنصراً هاماً من عناصر بناء الرواية وهو أحد أساليب التعبير فيها , يتم توظيفه ليعبر عن رؤية الكاتب وتجربته في الحياة كما أن الحوار يلعب دوراً أساسياً في تحريك ودفع الأحداث في الرواية واستحضار الحلقات المفقودة فيها والكشف عن الطبائع النفسية والاجتماعية والثقافية للشخصيات ورسم ملامحها وأبعادها.

وفي رواية (الصندوق الأسود) بدأ الحوار بنوعية محرّكاً لأحداث الرواية وكاشفاً لأعماق الشخصيات , وتطلعاتها وآمالها وآلامها كما أنه وسيلة للكشف عن الأنساق الثقافية فلولا الحوار لما عُرفت الشخصيات ولما عُرف تفكيرها فالحوار أثناء الرواية يوضح آلية تفكير الشخصية ويُبني مستواها الثقافي والفكري والإجتماعي فمن خلال حوارات النساء اللواتي يعانين العقم وهن في أحد مشافي دمشق للمعالجة يظهرن مدى ظلم الرجال لهن فتصف البطلة نفسها كما تقول شخصية ماهر محمود : ((كنت أخافها لأنها أقوى مني والرجل الشرقي دائماً يبحث عن امرأة أقل منه)). (الصندوق الأسود،88).

هكذا يفكر الرجل الشرقي يريد المرأة ضعيفة وأقل منه منزلة ومكانةً منه لكي يتحكم بها وتبقى تحت سيطرته وتعرض الكاتبة كليزار نماذج نسائية تعرضت لهيمنة الرجل وعانت من تخلف المجمتع وظلمه بسبب ما يحمله من عادات وتقاليد بالية وآراء حول المرأة العقيمة فتقول البطلة تيجان معبرة عن استنكارها للظلم الاجتماعي الواقع على المرأة ((منطق غريب أم هي سوء عدالة في الميراث فالبنت ترث الثلث بينما الولد يرث الكل)). (الصندوق الأسود،9).

باسترجاعات زمنية متعددة ومنها استرجاع فترة الاجتياح الأمريكي في عام 2003م تقول على لسان البطلة تيجان ((الكل يدعي بأن له الحصة الأكبر في هذا الوطن الجريح لم يبق منه سوى أشلاء وطن كان يدعى العراق)). (الصندوق الأسود،96).

أمّا الحوارات الداخلية ((المونولوج الداخلي)) فقد كانت غنية بالقيم الكبرى والأفكار الجديدة ذات النسق الرافض لكل أشكال الهيمنة الذكورية التي تتعارض مع مواقف الكاتبة المثقفة التي تنادي بإنصاف المرأة والمطالبة بحقوقها وإعادة المنزلة الإنسانية لها.

قالت الكاتبة على لسان البطلة تيجان ((المحنة تعلم فن السرد تجعله يبوح بأسراره وتفاصيل حياته الدقيقة كما أفعل أنا ليس لشيئ سوى تحرير النفس من هم المحنة)). (الصندوق الأود،148).

وقالت في موضع أخر من سياقات السرد الروائي على لسان تيجان بطلة الرواية تحدث نفسها : ((صورته تملأ الشاشة وبعدها ظهر هو بشخصه من وراء مكتب لايوجد عليه سوى جهاز كمبيوتر ومقلمة .... وتلك المقلمة أهديتها إياه في مناسبة خاصة)). (الصندوق الأسود،136).

وهذا ما يخالف النسق الثقافي الثابت الذي أطلق عليه الناقد عبدالله الغذامي بالزواج السردي حيث لا يحاول النسق المعلن الهيمنة على النسق المضمر كون هذا الزواج جنوسة نسقية تعيد تأطير البشر حسب قوانين التفحيل وتضبط علاقتهم باسم التدقيق بين متن وهامش وقيم فحولية تقاوم كل ما هو إنساني. وأخيراً أستطيع القول بأن هذه الرواية مثلت صوت المرأة أفضل تمثيل إضافة إلى حالة الإبداع في عالم الأدب عموماً والرواية خصوصاً , ففي رواية ((الصندوق الأسود)) نعيش خصوصية الصوت الأنثوي ونتلمس حاجاته وأعماقه بلغة واضحة قريبة من لغة اليومي المعيش الممتزجة بشفافية تجعلها أقرب إلى الصدق بنقل أحداث وتغيرات الواقع ومن الناحية الموضوعية أما من الناحية الذاتية فاستطاعت الكاتبة أن تعبر عن تجربة الحب بكل مافيها من مشاعر وأحاسيس إنسانية وأحزان وخيبات وأفراح.

نتيجة البحث:

بعد عرضنا للنصوص الروائية في رواية الصندوق الأسود توصلنا إلى النتائج مهمة منها:

1 - رغبت الكاتبة في تغيير واقعها لشعورها بعدم الاقتناع به فحاولت أن تضيف عليه لمسة جوهرية مما تروم وتتمنا ليكون انعكاساً للواقع الذي تريد ولذلك أعتمدت على الواقعية في ربط الأحداث.

2 - امكانية الروائية كليزار أنور في التشبيه والوصف ودقة ملاحظتها في تصوير الحياة ونقل تفاصيلها بأمانة يدل على نظرتها إلى الأمور ساعيةً إلى الكمال المطلوب بالاشياء التي من حولها.

3 - صورت الروائية في نصوصها اللمسية، لحظات الفقد والحرمان لتنتقل بنا من العالم المادي إلى عالم أوسع ألا وهو الخيال الواقعي المطل على ما عاشته.

4 -لم تقتصر كاتبتنا في صورها الواقعية على تصوير الاحداث المعروفة والمرددة دائما بل أنتقلت بنا إلى شيئا استثنائياً من المعانات وأثر البيئة وكيفية أنسلاخ العادات والتقاليد بعد عنصر الأنتقال القصري (الهجرة).

المصادر والمراجع:

1 -الرواية العربية ورهان التجدد، د.محمد برادة، الصدى للصحافة والنشر 2011،ص23.

2 -الأجناس الأدبية في ضوء ((الشعريات المقارنة))قراءة مونتاجية، عز الدين مناصرة، دار الحرية للنشر والتوزيع_الاردن 2010، ط1.

3 -البنيوية التكوينية، د. جمال شلحد، المجلس الأعلى للغات_الجزائر، 2019.

4 -بنية النص الروائي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، إبراهيم خليل، ط1، 2010.

5 -الرواية العربية ورهان التجدد، د. محمد برادة، دبي الثقافية ط1، 2011.

6 -آليات الكتابة السردية، أمبرتو ايكو، ترجمة وتقديم سعيد نكراد، دار الحوار ط1، 2019.

7 -تقرير المنظمة العالمية للهجرة_ المؤتمر السادس للعلوم الإجتماعية والإنسانية.

8 -مجلة منصة المعرفة في الاردن (إبليل وآخرون) ورقة حقائق الهجرة والنوع الإجتماعي 2021م.

9 -تقرير المؤتمر الدولي للحد من الهجرة غير الشرعية عام 1994.

10 - تقرير المؤتمر الدولي للسكان والتنمية 13_9_2023.

11 - التقرير الدولي للهجرة في العالم _يناير_2007.

12 - تقرير الهجرة في العالم 2003.

13 - مقالة الرواية النسوية بين التعددية والخصوصية_ د. ماجد حمود_ مجلة المعرفة السورية_ العدد 648_ 2017م_ إصدار وزارة الثقافة السورية.

14 - الصندوق الأسود_ كليزار أنور_ دار النشر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر_ لبنان2022.

15 - نظرية الأدب_ الكاتب د. فؤاد مرعي_ جامعة حلب_ سوريا1980.

16 - تحليل السرد الأدبي- دراسات- المؤلف جرار جينيت وآخرون 2017.